

للجهل فقال له الحمل انما اتكلم بالواقع المشاهد فقال الذئب لا ينبغي ان
تسفه قولاً قلته وما عليك الا ان تسمع وتطيع فمشى الحمل وهو يقول
قاتل الله القوة ما اشد ولوعها بسلب حقوق الضعفاء

حرب الاقلام بجيوش الاوهام

معلوم ان الحرب المتداولة في العالم داعيتها نشر دين او حرب استبداد
على الغير وقد تنوعت صور الحروب لاعدام الانسان بقدر ما توصل اليه قوة
الاختراع وما عند المعتدي من حب الأثرة والافراد بالسلطة فكانت الحروب
الاولى مضاربة بالعصي ثم مرشقة بالنبال ثم مطاعنة بالرمح ثم مجالدة بالسيوف
ثم انتهت الى المراماة بالبنادق والمقاذفة بالمدافع وكل نوع اخذ له دوراً واعدم
خلائق لا يحصون كثرة وترك له في النفوس اقبج وقع وقد اخترعت الدول
الآن نوعاً اخف كلفة واكبر تأثيراً وهو الايهام المحير للافكار الموقع في الارتباك
والاضطراب فاخذت كل دولة تزيد في جنودها وتعمي الجيوش وتحشدتها
في حدودها وتصدر الاوامر بعمل الاستحكامات وبناء السفن وتكثير الآلات
واعداد المهمات ولا حديث لكل دولة بين وزرائها ونوابها الا الاستعداد
للحرب حتى ان من نظر الى الالهبة التي عليها اوروبا الآن وصور انها اثار
الحرب يوماً ما ايمن ان نصف العالم على وشك العدم ومعظم العواصم عرضة
للدمار والخراب . ومعلوم ان كل دولة مطالبة بحق واخذ ثار او متوقعة هجوم
جارتها عليها فالخوف واقع في كل امة من سكان الارض وليس هناك امة
تببت تحت سماء الامن حتى هجع او اسط افريقية فانهم وصلتهم عدوى اوروبا

وامتدت اليهم الاطماع فاسجبوا بين مغالب المنون بدعوى توسيع الاستعمار
وتعميم المدنية وقطع عروق الجهالة والحشونة من العالم وهي عال باطلة ودعاو
كاذبة يبعث على افتراءها حب الاستبداد من ام تدعي الحرية وهم لم يشتموا
لها رائحة الى الآن . وبهذا الاهتمام بشان الجند والاساطيل والحصون اصبح
الكون يوج في بعض حدساً وتخميناً . ثم برز فرسان الاقلام في ميدان الارهاب
والتهذيب والايهام والتخويف والانذار والوعيد فشغلوا الافكار وتركوا الناس
في حكم الفوضى يتجارون على مكاتب الجرائد والتاخرافات يتساءلون عن
الاخبار اليومية والاقوال الوهمية وقد ارتجفت قلوبهم وبلغت الرهبة منهم
مبالغ تصديق تلك الايهامات فخافوا من تهديد هذا الوكيل ووعيد ناظر
خارجية كذا وانذار دولة كذا وزيادة الجند بين امة كذا كأن تلك الامور
حقيقية محققة الوقوع وما هي الاحروب وهمية التزمته الدول تخفيفاً لمصرف
الحروب وحقنا للدماء . فان كل عقل يعلم ان الدول موزعة المطامع في العالم
وكل دولة ترى انها حق باقليم كذا لكونه طريقها الى املاكها والاخرى تقول بل انا
احق به لكونه مجاور الاملاكي وفيه مصالحى وهذه تقول ان هذا اقليمي وملكي الشرعي
يشهد بذلك فلان وفلان وبهذا التحالف لا يمكن لامة ان تسطو على امة ولها رقيب
يمارضها او مثيل يدافعها الا اذا اجتمع الدول على قسمة الكرة قسمة افراز وانعقد
اجماعهم على تعيين النقط وتحديد الحدود فان المطامع تنقطع عند ذلك وتمتنع
المعارضات خشية ان ينقض الجميع على الممارسة بحكم الاتفق وهذه نقطة
يعز الوصول اليها فان كل دولة تمنى نفسها بانها ستكون مالكة الدنيا يوماً
ما وما دامت هذه الافكار جائلة في رؤس رجالها فانه يستحيل الوصول

الى مجمع الاجماع الآن . الا ان بقاء الدول على ما هي عليه من تكثير
الجند واعداد العدد مما يقطع العقل باستماتته لتحملها في سبيل تاييده وبقائه
ما يعود على ما ليتها بالافلاس وعلى رجالها بالملل والسامة فلا بد وان يأتي
يوم فيه تخفف الدول اثقالها وتطرح عن عوائقها احمالاً اضعفتها ولا تصل
لذلك الا بانفق على سلم محدودة وهذا موهوم او حرب اشتراكية وهذه هي
مرجع الافكار غير ان العملة لم تنزل في غموض ومعظم العالم يظنها القطعة
المباركة الراقفة في باب افريقية التي لا تحمل سلاحاً ولا تريد قتالاً وهي
التي حركت العالم للمعاهدات والمعاهدات باصبع من يريد ان يعيث بالدول
ليتناول طووس الشرق بيد الصيد والقنص وقد اتخذ له كتاباً ينازلون
الضعف باقوال الايهام والوعيد ليتمكنوا الرهبة من قلوب من قصدوا استعبادهم
واذلالهم ظانين ان كل ما تصوروه يقع في قلوب الناس وهو وهم دعا اليه
الجهل بمجقائق العالم والاغترار باغترار يقفون بابوابهم لا يدرون لاية علة وقفوا
ولا يهاب على طووس الشرق وجود افراد اوقعتهم الجهالة في حباله الاوهام
فظنوا خلف السراب ماء وغابوا عن الحقوق المقدسة المكفولة بضمانة الدول
واثن سكتت الدول ساعة فستقول اعواماً ولئن سكتت اعواماً فستتحرك اياماً
فليبرق كتاب الاوهام ويرعدوا حتى تنكشف الحقائق وترفع ستارة الاوهام
عن نار مؤصدة او سلم دائمة قاعدتها رد الحقوق لاهابها ووقوف كل دولة عند
حدودها التي عينتها لها المعاهدات . وبهذا نرى ان السكون احسن ما تحلى
به الشرقيون الآن طارحين ايهام المهديين خلف ظهورهم ضاربين باقوال
المنذرين حائط الاهدار منصرفين عن هذه الترهات الى ما يهمهم من

التعلق بملوكهم وامرائهم والتوصل الى حفظ الحقوق برعاية جانب الدول
 والمحافظة على الامن العام وقيام كل عامل بعمله على قانون العدل وطريق
 الاستقامة ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . وليعلموا ان
 مصيبتهم بهذه المبارزات قبضت نفوس اخوانهم في جميع الاقطار فمادوا
 للنساء وبل فيما كانوا يسمعون عن مهدديهم من انهم محبون للامة الشرقية مدافعون
 عنها لا يتعرضون لاضرارها ولا اسلب سلطتها من سلطانها وامرائها وقد تبين لهم
 ان تلك الكلمات كانت بروقاً خلبية وحيلاً سياوية استمالوا بها النفوس وجذبوا
 القلوب حتى وقع في حبالهم من وقع وقد انكشف الغطاء ووضع الصبح لذي
 عينين وايقن الكل ان القصد الاستعباد بسوط الاستبداد . وحركات النفوس
 لا تزال تختلج في الصدور والقوة تمنعها والعوارض تدفعها حتى تخرج من مقارها
 الى ساحة حياة او موت والكون شاهد عدل على تربية ام كثيرة تحت احضان
 ام اخرى وعودتها لعزيز الاستقلال والتخلص من قيد الاستعباد . ومن هذا نعلم
 ان ضغط اوروبا على افكار الشرقيين ومسارة ملوكها للتغلب على اقطارهم
 هو عين الحياة للشرق واهله وباعث المحافظة على الحقوق والمطالبة بها عند
 تمكنهم من فرصة الظفر فان اعمال اوروبا في الشرق ما هي الا دروس تعطي
 لاهله وتمرين على الاعمال الجديدة واعداد لقوى يكونها الاحتكاك في
 الافكار والتربية تحت الاحضان . ولولم تتداخل اوروبا في الشؤون الشرقية
 بالتجول في هذه الاقطار والتغلب على بعضها ونقل التجارة اليها ونشر جرائدها
 بين قوم ما كانوا يعلمون شيئاً من احوال اوروبا لبقى الشرق على اغتراره
 بكلام اهل الاطماع وظنه الصدق في اخبار محبي الاستعباد ونوهمه الحق في

فعل ملوك الاستبداد وما كشف لاهل الشرق حقائق الاوهام الا تلك
 المخالطة المباركة التي استفاد بها الاوروبيون ، الا واستفاد الشرقيون منها علوماً
 ولئن تجزأت اقطارهم ووقع الكثير منها تحت سوط استعباد اوروبا ولم يبق
 الا راس الجسم الشرقي وقلب حياته فاسوف تربنا الايام من تدافع القوى
 الفكرية في جميع الامم الشرقية ما يحملها على التخلص من ذل الاستعباد بضغط
 المستعبد وسلبه حقوقهم واكرامهم على التخلي عما افوه واعتقدوه فان الشرقيين
 ليسوا نوعاً غير نوع الانسان حتى يحكم عليهم بعدم مجاراة الامم التي خضعت
 لغيرها بحكم الضعف والجهل حتى تربت وقويت مادتها العلمية فحملتها على
 الرجوع الى ما كان عليه السابقون من سكان ارضهم احق بها واهلها .
 وكأني بجاهل بحقائق الامم وكيفية تكوين الدول بالتربية والاختلاط يعترض
 على هذا الكلام بل يسخر منه اغتراراً بقوة من اشتروه بثمن نعل فنكل امره
 الى المستقبل حتى تناديه ام الشرق قائلة ان تسفروا منا فاننا نسخر منكم كما
 تسفرون فسوف تعلمون . ولا يظن جاهل ان تلك الحركات الشرقية ثورة
 عدوانية او اضطراب فوضوي فانها هي قوة فكرية تمكنها منها حركات اوروبا
 بين دافع ومدفوع فيخلو الجو لامم الشرق تحت مراقبة الغرب يوم يساوي
 الشرقي الغربي في التصرف في الامور بالحدق والدهاء والصبر على الشدائد
 ولئن استبعدنا حصول ذلك في قرن نحن في اوله كما يزعم الموهون فاننا لا
 نستبعد ان تلد الايام من حوادث اوروبا ما يمتعنا بنوال تلك الامنية عن
 قريب فكم في بطون الليالي من بواعث لم تستعد لها اوروبا الآن وما دامت
 الاطماع تزيد والافكار تتوارد على الامم رغبة ورهبة فانسكون يكون نسبياً

موقناً بين الملوك وما علينا الا ان نقعد على بساط الامن متفرجين
على العالم حتى تنتهي الدول الى مضار الانبعاثات العدوانية وهناك
نرى السابق من اللاحق ونحقق من احرز الرهان . وعودنا بهذه الصورة
يقضي بعدم ارتجافنا من الوعيد الوهمي وخوفنا من التهديد الخيالي ولاعراض
عمن يغمسون اقلامهم في نعمة الشرقيين ليكتبوا بها معائب ان اغنومهم
ويجلبوا بها مصائب على من آوهم فما يضرك الا رجل يدعي انه اخوك
ويزعم انه شريك لك في الحقوق يناديك باهجتك ليخرجك من بيتك
ويسلمك الى الخاسين الذين طافوا الارض لاسترقاق الاحرار . فلو ترك
الشرقيون والاوربيين لتمتع الفريقان بثمرة المخالطة وتمكنت منها دواعي المحبة
وتأكدت روابط الالفة بالاشترك في المعاملة والساكنة وما اوغر الصدور
وافسد النيات الا هؤلاء الكتاب الذين فجموا الشرقي للغربي وافترروا عليه
الاكاذيب وملاوا بها جرائدهم وكتبهم وشروها بن العالمين الشرقي والغربي
فظن الغربي ان الشرقي بهم لا يصلح للملك ولا يليق الا للاستعباد والقهر وظن
الشرقي ان الغربي عدوه الالذ الساعي في سلب سلطته ونهب ثروته واعدام
دينه واستعباد اخوانه فوقعت النفرة بهذه المقاريات وما زاد النار احنداماً
الأبعض الشرقيين الذين استخدمهم الغربيون باجرة لا تزيد عن ثمن نعل
فاخذوا يبارزون من كانوا اخوانهم قبل ان يبيعوا انفسهم ويوهمونهم بكلمات
لا طائل تحتها فكانوا اشد على الشرقيين من الغربيين فهم الاعداء الالذاء
والخونة العادون فيجب على كل شرقي ان يحذر من فتنهم وينتبه
لدسائسهم ويفتش كلامهم ليستخرج منه ما شابوه به من دعوى

المماثلة في الجنس والمرافقة في التبعية والمحافظة على المصلحة الشرقية تفريراً
 للمغفلين واستجلاً بآثار الحروب الحمقى فذلك لا تجد مصداقاً لدعاويهم الا ان
 كان ابله او معتوهاً وايست هذه الشذمة فاصرة على فردين او ثلاثة في
 ارض مخصوصة بل هي افراد منتشرون في الشرق والغرب يستهيجون
 الشرقيين بدعوى التعميس والتشجيع ويستدعون اوروبا بدعوى المحافظة
 على الامن والخوف من الحركات الدينية التي لا يعرفها الشرقي وهي نصب
 عين كل غربي . وكم كتب هذا الفريق كتباً ونشرها بين الغربيين ليبيع
 وطنه واخوانه بلقمة بتأطاعاً طيبة وبخروجها منتنة وبشما اختاروا لانفسهم
 فان اظلم الناس لنفسه من يظلم الناس للناس

واذا ضلت العقول على عالم فاذا تفيدته النصحاء
 فنحذر اخواننا الشرقيين من مقاربة المضامين ومخالطتهم ونطلب منهم
 ان يقرأوا عواقب ما هم فيه من الشدة وينظروا المستقبل بعين البصراء
 الذين لا تزعمهم العواصف ولا تستميتهم الاباطيل وان يجعلوا معاملة الاجنبي
 بالمعروف ومخالطته مخالطة المثل نصب اعينهم مع التزام الهدو والسكون
 وعدم الميل الى الاوهام وما ينصبه الاعداء من اشراك الهيجان والاضطراب
 فانهم ان لزموا هذه الحالة قاوموا كل تهديد ووعيد واظهروا لاوروبا انهم بقصدهم
 وحسن تصرفهم في الامور قد قاوموا بقوة مدنيتهم حرب الاقلام بجيوش الاوهام

تهنئة قدوم

لقد عاد الى مصر حضرة الاديب الاريب الكاتب السياسي الفاضل